

من النظم التاريخي

إذا كان نقاد الأدب قد قالوا إن الشعر العربي هو صحيفة العرب الراصدة لأحداثهم ،
المعبرة عن مجريات أمورهم ..

فإننا في الجزيرة هنا نلمس كثيراً من ذلك فيما رصد من أشعار عربية وعامية ..

- فالشيخ ابن غنام (.... - ١٢٢٥ هـ) قد رصد لنا في تاريخه أشياء تسجل دعوة الشيخ
محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود رحمهما الله ..

- ويعتبر ما ذكره ابن بشر (١٢١٠ - ١٢٩٠ هـ) من أشعار ، وأبيات مقطعة شواهد تنبئ
عن تسجيل تاريخي لأحداث بعضها ..

الجزيرة المحمدية على يد الشيخ

د. محمد بن سعد الشويخ

ذلك أن الشعر أسهل في الحفظ ، وأمكن في الإتيان ، في مجتمع يعتمد على الذاكرة والحفظ ، أكثر من اعتماده على التدوين والرصد .

- أحمد بن مشرف (... - ١٢٨٥ هـ) الذي رصد أحداث الدولة السعودية الثانية .

- والشيخ سليمان بن سحمان (١٢٦٦ - ١٣٤٩ هـ) الذي لقبه بعضهم بحسان الدعوة ، يصح أن نعتبر شعره مرجعاً مهماً في تفاصيل سيرة الملك عبد العزيز .. لأنه يتحدث عن كل مناسبة في حينها .. ومثله في ذلك الشاعر محمد بن عثيمين (... - ١٣٦٣ هـ) في قصائده الحديثة .

- ثم الشيخ محمد بن بليهد (١٣٢٠ - ١٣٧٧ هـ) في ديوانه الشعري ..

ولقد لفت نظري أثناء بحثي في تاريخ شرقاء قصيدتان ، فيها إضافات تاريخية لم تلونها كتب التاريخ التي رصدت تلك الأحداث ..

ذلك أن الشعر لم تكن سمة الإطالة .. وإنما المحلل للأحداث هو الذي يجمع المعلومات التي أنبأت عنها الإشارة من الشاعر .

هاتان القصيدتان هما :

- منظومة الشيخ أحمد بن علي بن دعبج التي سرد بها الأحداث التاريخية إبان حملة إبراهيم باشا (١٢٠٤ - ١٢٦٤ هـ) على نجد وهدمه الدرعية عام ١٢٣٣ هـ وبعد القضاء على الدولة السعودية الأولى ، وبعثه بالإمام عبد الله بن سعود (... - ١٢٣٤ هـ) إلى مصر ثم الآستانة بتركيا .

- وقصيدة سليمان بن سحمان الرائية ، التي أوضح فيها الخطوات الأولى في انتصارات الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل (١٢٩٧ - ١٣٧٣) في العامين الأولين من مبدأ مسيرته ..

وفي هذا اليوم سيكون حديثنا عن المنظومة الأولى .. ولن نتعرض لمقارنة ما جاء بها من أحداث تاريخية ، بما رصد في كتب التاريخ .. وهذا ما سوف نقرده له بإذن الله مجالاً آخر ..
المجلة ١٦٣

في هذه الحلقة سنحرص على إيالة المخطوطات التي أوصلنا إلى هذه القصيدة ، والتي لم تنشر حتى الآن ..

لقد لقت نظري حياة الشيخ عبد الله بن جبار ، وهو من المعمرين - أطال الله في عمره - حيث قال عن نفسه بأنه ولد عام ١٣٠٧ هـ .. وقال بأن الشاعر تعرّض فيها إلى حرب شقراء مع إبراهيم باشا بأكثر من عشرة أبيات ..

كما أنه يتوقع بأنها نجي في ١٥٠ بيتاً أو تزيد ، وأنه كان يحفظها منذ أكثر من سبعين سنة .. وقد أملاني من ذاكرته تسعة وأربعين بيتاً ..

لقد رجعت إلى ترجمة الغائل عند الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن بسام ، في كتابه من علماء نجد في ستة قرون ، فرأيت يقول عن هذه القصيدة بعد إيراد أبيات منها : وهو رجز طويل سجل فيه بعض أخبار هذه الحادثة الكبرى عن عيان ومشاهدة ، وهو رجز لا يخلو من الخلل في وزنه ونحوه^(١) .

ثم لما تبعت التراجم التي أوردتها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن بسام في كتابه هذا والتي هي مظنة إيراد بعض أبيات من القصيدة .. وجدت :

١ - في ترجمة الشيخ أحمد بن دعيح المشار إليها ، قد أورد من هذه القصيدة : تسعة وعشرين بيتاً^(٢) .

٢ - في ترجمة حياة الشيخ قرناس بن عبد الرحمن (١١٩٠ - ١٢٦٢ هـ) أورد بيتين^(٣) .

٣ - في ترجمة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين (١١٥٤ - ١٢٣٧ هـ) أورد سبعة أبيات^(٤) .

- ثم عدت لكتاب روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ، فرأيت مؤلفه الشيخ محمد بن عثمان القاضي قد أورد في ترجمة سيرة الشيخ أحمد بن علي بن دعيح ثمانية أبيات من هذه القصيدة مستقيمة الوزن والنطق^(٥) .

- لقد اتصلت ببعض المهتمين علمياً من أسرة الشيخ مستوضحاً عن هذه الأرجوزة ، لعل

حلقاتها تتصل ، وما نقص منها يكتمل ، فلم نظفر بما أمكنا ، ولم نجد ما يروي الغليل خاصة وأن مثل الشيخ أحمد الدعيج له شهرة في قصائد أخرى :

– فقد ذكر له الشيخ ابن بسام نظماً سماه : كتاب العقد الخمين ، عقيدة للموحدين .. يوضح الاعتقاد الذي عليه أهل نجد .. ومطلع ذلك النظم :

بسمه أبد كل أمري تركاً وحفظاً له لا يعزبه جدامها^(١)
– وذكر له الشيخ عبد الرحمن بن زيد العتري قصائد في الإمام فيصل بن تركي بصفه بالعفة والصلاح بدأه بقوله :

وما بدأت النظم إلا بحبة وما مقصودي به التنبؤ^(٢)

وعنه الدرعية لم تحرك الشاعر ابن دعيج وحده ، بل حركت غيره كثيرين فالشيخ علي بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب المتوفي عام ١٢٥٧ هـ له قصيدة لامية مؤثرة في رثاء الدرعية ..

وأهمية قصيدة – أو منظومة – ابن دعيج أنها طويلة ولم تشر ، وتسجل أحداثاً تاريخية مهمة ، وأتوقع أن وجودها كاملة سيتج عنه :

– تصحيح كل خلل في الوزن واللغة .

– إضافة شيء جديد في السرد التاريخي ..

ومن هنا جاءت الرغبة في البحث عسى أن نصل لنتيجة مرضية .. ولما كان الشيخ عبد الله ابن جاز قد أكد لي أنه حفظ جزءاً كبيراً منها هو والشيخ محمد بن علي البيز (١٣١٠ – ١٣٩٢ هـ) منذ أكثر من سبعين عاماً ، عندما كانا بطلبان العلم في حلقة الشيخ ناصر بن سعود ابن عيسى (١٢٨٥ – ١٣٥٠ هـ) في جامع شقراء .. وأن الشيخ محمد البيز يحتفظ بها مكتوبة ضمن محتويات مكتبته .

فقد اتصلت بمن آلت إليهم بعض محتويات مكتبة الشيخ البيز ، لكن لم نهتد إلى شيء يعطيني أملاً في العثور ، علاوة على طرفي كل باب أظن فيه مدخلاً لمطلبي فانسدت السبل .
المجلة ١٦٥

حتى كان في حديث مع معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي ذلك الرجل الذي حياه الله عمالة خلق ، وسعة أفق ، وحباً في البحث والمساعدة ففتح لي صدره ووسط جأهه ، وقال : من تظن نجدها عنده .. فقلت لا أتوقع غير فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام عضو هيئة التدريس بمكة المكرمة للأسباب التالية :

١ - اهتمام فضيلته بمثل هذه الأشياء ، ويكتب التأريخ التي تبحث في تأريخ الجزيرة إذ نسمع أن لديه أشياء لم تر النور بعد ، وبعثنا في حاجة إلى إمالة اللثام عنها ليستفيد منها الدارس والباحث .

٢ - أنه ذكر بعض أبياتها في ترجمة حياة الناظم ، وقال عن هذه القصيدة بأنها رجز طويل يخلو من غلط في وزنه ونحوه .

٣ - أن بيد الشيخ محمد البيز رحمه الله ، والشيخ عبد الله بن بسام صداقة حميمة ، وعلاقة متينة .. والروايات تثبت اهتمام الشيخ محمد البيز بهذه القصيدة التي كانت مكتوبة عنده منذ كان شاباً يافعاً ..

تجاوب معالي الشيخ حسن جزاه الله خيراً فكذب للشيخ عبد الله البسام طالباً هذه القصيدة .. فبعث إليه بصورة عنها .. أرسلها إلي معالي الشيخ حسن بخطاب يتم عن حب للمعرفة .. وتشجيع للعلم ، وبذل للجاء والنفس في سبيله ..

صفات هي من أخلاق العلماء التي يحب أن تسجلها عرفاناً بالجميل ، وإشادة بفضل المحسن لإحسانه ، والمتواضع لتواضعه ..

وقبل أن أورد ما وصل إلي علمي من هذه القصيدة نقلاً عن الشيخ عبد الله بن بسام فإنني سألت النظر إلي :

١ - قد يساورني الشك من الخلل في الوزن والنحو رغم أن ما نشته هنا يؤكد ما أشار إليه الشيخ عبد الله بن بسام .. لأن :

- الشيخ أحمد بن دعيح كان من جامعة الدرعية ، ومدرسة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأبناء هذه المدرسة هم اهتمام كبير بعلمي النحو والأوزان الشعرية - اللغة العربية عموماً

وعلمها .

ذلك أن الشيخ أحمد بن علي بن دعيج قد ولد بمرات عام ١١٩٠ هـ .. وكانت فترة تحصيله العلم هي الفترة الذهبية في العلم وطلبه في نجد عموماً وفي الدرعية بصفة خاصة .. ولأه الإمام عبد الله بن سعود قضاء مرات بعد قتل قاضيا إبراهيم بن مشرف عام ١٢٣٢ هـ أي قبل نكبة الدرعية بعام ..

وقد استمر في هذا المنصب للإمامين تركي بن عبد الله (.... - ١٢٤٩ هـ) ، وفصل بن تركي (.... - ١٢٨٢ هـ) ، حتى توفي في بلدة مرات وهو على رأس عمله عام ١٢٦٨ هـ .

- لعل هذا الحفل جاء من القلة .. خاصة وأنت لمست اختلافاً بسيطاً فيما نقلته بالرواية عن الشيخ عبد الله بن جاز ، وما وجدته بالكتابة في النسخة المرسلة من الشيخ عبد الله البسام وأن بعض الأبيات يقومها حذف حرف أو اثباته ، أو تعديل في النطق والحركة .

- إن ذكر هذه الأرجوزة مع ما فيها من خلل سبقت النظر ، ويترك من يملك ولو بعضها بالتصحيح : تغييراً أو إضافة ، أو استدراكاً .. وبذلك يتحصل الباحث على ما يعنيه ، ويحد القارئ فائدة مضافة ..

وهذا أيضاً مما يهم الشيخ عبد الله البسام كما يهم غيره ..

٢ - لا أحد ينكر ما قدمه الشيخ عبد الله بن بسام في كتابه : علماء نجد في ستة قرون من فائدة جديدة للقارئ - وأنا واحد ممن يدين له بذلك .

ولكن لما كان الشيخ هاوياً ومحباً للتأريخ والبحث ، بحيث وقع تحت يده ما لم يقع تحت يد غيره .. ألا يحذر به - جزاه الله خيراً - أن يتصف المكتبة الحلية بذلك نشرًا أو تحقيقاً ..

وإن من ضمه ما طرق سمعي عن الكتب المخطوطة التي يملكها الشيخ عبد الله ، ولم تيسر للقارئ المطلع ، ولا للراغب منهم ، الكتب التالية :

(أ) تاريخ الشيخ أحمد بن محمد بن بسام .. ويقع في عشرين صفحة ، من عام ١٠١٥ هـ إلى عام ١٠٣٩ هـ .

(ب) تحفة المشتاق ، في أخبار نجد والحجاز والعراق للشيخ عبد الله بن محمد الياسم المتوفي عام ١٣٤٦ هـ .

(ج) تاريخ ابن لعبون ، الذي طبع ناقصاً عام ١٣٥٧ هـ .

(د) تاريخ ابن عتيق .

٣ - إن ما نوردته هنا من هذه الأرجوزة لا يمكن إطلاقه بأنه هو القصيدة كاملة .. إذ أتوقع أن بالقصيدة نقص لم يستكمل ، وكفيرة على ذلك ، ما وجدته من زيادة بين المصدرين مما يجعل الباب مفتوحاً للإضافة لمن تتوفر لديه .

وإن من أسباب نشر هذا الموضوع هو استكمال هذه الأرجوزة وما دام حولها .
٤ - إن الشيخ أحمد بن دعيح عندما بدأت حملة إبراهيم باشا على نجد كان في منصب مهم وهو القضاء في بلدة مرات .. ثم عاصر الأحداث خطوة بخطوة .. فهو لا يسجل إلا ما وصل إلى علمه بأنه حقيقة لا لبس فيها ولا مراء ..

فهو بحكم مركزه وعلمه في موطن العدالة والإثبات ..

وبلدة مرات أقرب إلى مراقبة مسيرة جيوش إبراهيم باشا لأنها تكاد تكون في طريق مسيرة هذه الجيوش بعدما خرجت من شقراء إلى الدرعية مارة بضمراء . لكنه لم يذكر معركة ضمراء وهي قريبة منه مع أنها تبرز المشاعر .. ولا أتوقع أنه سيفعلها مع علاقتها بالحملة ضمن هدفه .

٥ - ثم إن الشيخ ابن دعيح أيضاً عتده اهتمام بالتاريخ ورغبة في تسجيل حوادثه ، يتضح مثل هذا في المقدمة التي وضعها بين يدي القصيدة ، معبرة عما يكنه ويأمله ، وبما لديه من تدفق ، ورغبة في إيضاح الأحداث لمن يأتي بعد ..

ولوجهته الشعرية أحبّ رصد ذلك شعراً .

مقدمة الناظم :

وضع ابن دعيح لأرجوزته تلك مقدمة تفصح عن رأيه ، ونسبه .. وهذه عادة درج عليها العلماء قبله في بعض الحالات .. ولا نستطيع أن نجزم عما إذا كانت هذه المقدمة مع الأرجوزة

يخط يده أم لغيره .. لعدم وجود ما يثبت ذلك .. ولكن الأرجح أنها بخطوط متداولة بعده
بزمن .

لأن من عادة ما يأتي بخط قائله التوثيق بما يدل على ذلك ، ووضع التاريخ لليوم الذي
كتب فيه .. خاصة مثل الشيخ ابن دعيج الذي كان يزاول القضاء في بلدته مرات ، وعادة
القضاة التوثيق باسم الكاتب . والزمن الذي كتب فيه ..

وهذا هو نص مقدمته :

أقول أنا الفقير إلى الله أحمد بن علي بن أحمد بن سليمان بن دعيج رحمهم الله تعالى ،
الحنبلي مذهباً . الكثيري نسباً . الرائي - بفتح الميم - بلداً : من كتب أخبار عصره فقد أشهد
عصره ، من لم يكن من أهل عصره ، وقصص الأولين مواعظ الآخرين وقد امنن الله على
رسوله محمد ﷺ ، حيث قال جل من قائل : «وكلأ نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به
فؤادك» (٨) .

فمن كتب ما رأى أو سمع من أخبار الأمم الماضية ، لمن بعده ، فقد أهدى إليهم ما ليس
عندهم ، فقلل من يأتي في آخر الزمان بعصيه بلاء ، فيظن أنه أول مبتلي ، فإذا سمع التواريخ
وما جرى على من سبق سكن روعه ، واطمأن قلبه ، كما قيل :

طالع تواريخ من في الدهر قد وجد نجد هوماً تسلى عندما نجد
نجد أكابرهم قد جرعوا غصصاً من الرزايا بها كم لتت كبد

وأقول جزى الله بالخيرات من كان قبلنا ، لقد غرسوا حتى أكلنا ، وإننا لنغرس حتى يأكل
الناس بعدنا .

فاستخرت الله تعالى ، على ذكر الواقعة الكبرى التي قصصت الظهور ، وفصحت العرى ،
وفرقت البوادي وأهل القرى ، وهي ممشى إبراهيم باشا بن محمد علي وزير مصر ، على نجد سنة
ثلاث وثلاثين ومائتين والفرس ١٢٣٣ هـ ، وهدمه أسوارها بالجمل ، وهدم الدرعية ، وقطع
نخيلها ، وتسفيره آل سعود ، وآل الشيخ إلى مصر ، وتركنا ذكر ما سواها من وقائع بنجد ،
وصلى الله على محمد وسلم . انتهى .

بعد هذه المقدمة جاءت القصيدة التي نوردتها فيما يلي مراعين إثبات ما توفر من زيادة عن نص الشيخ عبد الله الهام ، أو الإختلاف في الرواية .. من باب أمانة النقل :

الحمد لله على ما أنعم
ثم الصلاة بـعـد واللام
يقول عبد أصله من ماء
بفتح ميم أصح لا تفتحها
دخيل مولاه الفقير أحمد
واسمح له ماوتينا ناهنا
بالجود والعفو وبالسفران
ووالديه وسامع مؤمننا
أول ما أبدأ به الياني
والحمد فهو الله مستحقه
مستغرقاً للحمد والغايده
لحمد معبودنا والرب
ثم الصلاة والسلام بالوفي
محمد اختار سيد البشر
وآله وصحبه كلامها
ما هلت المحب من الأمطار
وبعد ذا ذكر وقايح عصرنا
لعله يدعولنا بالخفزة
فلعل من يلحق بصبه بلاء
فيسمع التأريخ أو يطالع
على الأوائل والأواخر قد جرت
فيكن لذلك روعه ويطعن
مطالع التأريخ صاعد سلمن

حمداً به يخلو من القلب العمى
على نبي دينه الإسلام^(١٤)
الحنـبـلي المذهب المراتي
فضمها يا صاح غايه ذمها^(١٥)
أمل يهديه طريق محمد
عتيد في كتابه أحصاها
مع الرضا والفوز بالجنان
ومن سعى في نفعنا داع لنا
باسم ذيالوهاب المنان
حمداً كثيراً عنه يعجز خلقه
جميعها وهو عليها زائد
سبحانه فهو لنا مرب
عل النبي العربي المصطفى
مال له الايمان وانشق القمر
وتابع يتبع ومن والاهما
وسجعت ألحانها الأطيار
لطالب بآل ويأتي بعدنا
والفوز أخرى مع وجوه مسفرة
فيظن أن الغر أول مبتلاء^(١٦)
فيري الحوادث فيه والقوارع^(١٧)
من بعد آدم كل شيء أتبع
وساحط القدور بالقلوب فن
بشرف عل ما قد جرى فيطن^(١٨)

وهذا جيل تظهر العجائب
فاسمع وخذ تاريخ قرن ثالث
منه ثلاث مع ثلاثين مضت
من بعد الف قد مضى وقد جرى
بنجد أذكر ما جرى تجميلاً
ومغلاً يا صاح للصغيرة
وهي العاكر مع وزير مصر
وقبله كأنها عروسا
أميرها المميدع الغامي
عبد العزيز أمير أول عصرنا
يوس بالقرآن والآثار
من بعده قام ابنه سعود
وأحسن السيرة والسلوكا
في عصره ترعى الضعيفة وحدها
وعمت الراعي مع الرعية
وجند الجنود للجهاد
في عصرهم أيامهم بواسم
ونعمة الإسلام ذاك الوقت
وبعدهم قام الإمام البار
عبد الله الليث أبو سعد
في محره قام أفندم باشا
بعاكر السلطان ومحمد علي
أنى بكيد ما رأينا مثله
وشاب نار الحرب فوق الرس
وصبروا وصبرهم قد بانا
رجال صدق في اللقا والبأس

وتغلاً الأوس بالسفائب
وما جرى فيه من الحوادث
من قرنا المذكور والبلوى دعت^(١١)
من هجرة شرفها غير الوري
وأترك الشعب والتفصيلاً
وراسماً للمحنة الكبيرة
أضرم على نجد بنار حمرا^(١٢)
والخير ذكره بملأ الطوربا^(١٣)
بنفسه عن حوزة الإسلام^(١٤)
فضائله تركو نعتا^(١٥)
ونجه طريقة الخمار^(١٦)
وعقد الرايات والبند^(١٧)
وأرهبته موهبته الملوكا
والشعب أدرك حقه من فهدا
هشم والأشراف بالسوية^(١٨)
ودوخ الحضار والبدوادي
هبالب المعز لهم نواسم
كل رآها غير أهل المقت
وكم له في الترك من وقائع
ولد سعود النذب مثل العهد
وفوق الههم له وراشا
وكم قبله الوادي يطعم على القرى
واجلب علينا عيله ورجله
لث السنه يفرهم بالقيس
أصير في الهجاء من أبانا
أعيانهم وشيوخهم فرناس^(١٩)
المادة ١٧١

ساروهم فعدينا بكل فن
 وعلى عنيزة مع بريدة حلاً
 ومالت أرياهم وضاق المخرجنا
 وإنهجهوا بالصالح والأمان
 وشقراء عليها شب نار الحرب
 هازهم يشبه مهب عاصف
 في ليلة لثالثة منطفح
 ثلاثة أيام عليهم طالت
 بلادهم بالسور قد أحيطت
 وعندق دؤار للبلاد لمت
 وفنيت الأسباب والأسوار
 والنفت الأتراك والشباك
 وحومت عليهم النسيبة
 وفار رحي الحرب على المحادة
 نرجوهم من رينا غفرائنا
 وبقي القرى ناسقوا وقاملوا
 أن لهم خافوا علوح الذي
 ونازل العوجا بحرب هازم
 حاصرهم بالروم سبعة أشهر
 أبوايا جده مع اجتباذه
 بصرية القلوب منهم بالوهن
 وبعض على الباشا فهم تهاقتوا
 وأهل السهل جميعهم فاهلوا
 والنصف من أهل الطريف تاروا
 وعلفوه بقصره وحيدنا
 وأخرجوه من منيع أوطانه
 ١٧٢هـ

نعم بأهل الررس وطوه الررس
 فراعهم منه سواد الظلأ
 والذل في قلوبهم تولجا
 وهم رجال الحرب والطعان
 بالقبس ضربا رجم الشهب
 وليلهم بالوصف رعد لاصف^(٢٢٢)
 صوت القبوس مفرق وموجع^(٢٢٣)
 وأفزعت قلوبهم وهالت
 وبالحصون الضحكة أشيدت^(٢٢٤)
 فزادت المصائب وعتت^(٢٢٥)
 ولم يبق إلا عندق دؤار
 وأيقنوا بالمعطب والهلاك^(٢٢٦)
 وأنجاهم الباري بصدق نية
 وخصهم مولاي بالشهادة
 لصرهم والفرز بالجناتنا
 وأعراهم فازحلوا وعاملوا
 والعمر من نفوسهم معدوي
 لكن نطنطن دوما الأراقم^(٢٢٧)
 أبو سعد مكنأها والأبحر^(٢٢٨)
 لكن مولانا له مراده
 حاشا مشاهر وفيهل ماجين
 وآخرين بالكاتب خافتوا^(٢٢٩)
 وأدخلوا العسكر عليه دلسوا
 وصفقوا جناحهم وطاروا^(٢٣٠)
 ونقصي إلاله فليس عنه محيدا^(٢٣١)
 فعز من لا ينقصي سلطانه^(٢٣٢)

ولا يرام ولا يسكنه كالد
مالك جميع الملك حي دائم
وملكه جديد ثابت الأركان
كم قبلنا أباد ربي من أثم
فيها مضى كم دولة قد دالت
كم في المقابر من أثم المعطا
سكان نجد في حجاب الناس
مصر دنبرنا إلى الشاق
وذا يمزينا عن آل سعود
وبعدهم أهل الظنون الفاسدة
فانقلت أيامهم دواهي
ببوتهم ملاعب للجوم
فيها لما من بهمة تفلقت
وطالما كانت محل آس
وكم بها من ملك غطريف
ومن نوى نزال الملك من رجالها
وسادنا منهم حين مع حن
توارروا بالسفيل والمصادرة
والسبل فالأعراب قطعوها
فماضطرت أيامنا واعتلت
وأظلمت نجد وثارت الفتن
فانتدب الشهم الموفق تركي
وأورد الأعوانا عار الملك
ولاح بندر طالعا في السعد
فانصلحت به الأمور الفاسدة
واستنقذ الأمة والخلافة

ولا يسيد وكل شيء باليد
سواه ملوك وأنفسه راغم
ولا يظام ولا له أعوان
من بعد نوح مثل عاد أو أرم
ثم انقضت مدتها وزالت
رماه سهم حادث فخرطا
كقطرة في البحر بالقياس
ثم البقا للواحد الخلاق
وعن كل محبوب لنا مفلود^(٣١)
تبقوا النعمة عليهم عالة^(٣٢)
ربذلت دوسهم ملاهي
يتمع بها صوت الصدا الموهوم
حداق بعد التفاف قطعت
ورحب ساحات بها محال
وشبح علم جهيل ظريف
كل تبين ثم قال أنا لما
وأباعهم من نجد يابش الزمن^(٣٣)
الله يكفيننا وجوه بامرة
بالخسل والأموال نهوها
سبع سنين سقت واعتلت
واستمر البعوض والشعل فتن
وجرد الأجرب نظام الملكي^(٣٤)
وقطع من نجد قصور الترك
وكف شرا واستقرت نجد
وأرغم الله تعالى حاسده
وناف فعلا عن فعال أسلافه
لهذه ١٧٣

بأرب توهن من نوى خلافه

بدعى صدور السظم والقواي
وليس مقصودي وليس شاي
فخير والو عادلاً بهيئاً
يسقدم الوجيه فيها عالماً
وموفياً للمعهد والذمام
يمهز الحيوش للمهازي

ويصر المظلوم والمخدونا
ويصب القفلة أهل العلم
مفتقداً للضيف بالإكرام
يقرب أهل الخير والأمانة

ويحمد أهل الشر من ناديه
ميزان أفعاله على هدى السبي
والحمد حقاً أوله وآخره
معبودنا أهل الشنا والمجد

موجد جميع الخلق من بعد العلم
وإن تعدوا النعم لا تحصوها
فالحمد والشكر عليكم فرضاً
وغت المباني الخربينة

أعيلها من طعن شامخ بأنفه
عسى عليها التز والقبول
الغاشمي المصطفى النامي
صل عليهم ربنا وسلماً

تبقية ذو عز لنا سنيها^(٣٨)

بأنا معاً للنظم قل آمينا
حُباً لأهل العدل والإنصاف
أطلب به شيئاً من المعاني
شبيه صمر ويحسن الشديدا
وعن الرعية يرفع المظالم
وحامياً لحوزة الإسلام
ويقمع أهل الشين والمخازي

يقيمها ويكرم الوفودا
منفلاً لقوفهم في الحكم
وفي الحروب ماهر مقدا
يحلهم شعارة والبطانة

ويقصهم لو كانوا من ذويه
بع له فذاك عنقا مغرب
لما لك الدنيا عليك الأجرة
جزل العطايا متحق الحمد

سبحانه وهو المربي بالنعم
بما معثر العباد فاشكروها
جزاؤه فهو عليه قرصاً
أبياتنا غرائس مجلية

وهو الهبي والجهالة وصفه
بجاه طه السيد الرسول^(٣٩)
وآله وصحبه والكرام
ما دارت الأدوار أفلاك السما

واظفر لنا يارب وامنحنا الرضاء
والأهل والحيوان والأقارب
أبياتها سبع حساب متقناً فلا نخل عنه هنا أو هاهنا

وعلى هذا فإني أعتقد أن هذه الأرحورة لا زال ها بقية . سواء تحلت أبياتها لأن انقضى
يحيى في بعض أبياتها انقطاع في المعنى .

أو في نهايتها للأسباب التالية :

١ - آخر بيت قوله أبياتها سبع حساب متقناً فلا بد أن يذكر ما فوق هذا الرقم إذ سبع
ما دون هذا ١٢٨ بيتاً فهي أبيات ثم نكس في النص الأصلي كما نرى . ولعله يريد سبع أن
أبياتها سبعة بيت ولذا نعتبر تاريخاً متكاملأ

٢ - بي سمعت من يعرفها أو سمع عنها أنها أكثر من ١٥٠ بيتاً

٣ - أن النسخ كثير إضافة بعض الحروف التي نحل بالوزن والحري لشعري

٤ - أن راحر قصر لأحداث في أرحورته على بداية عهد الإمام تركي بن عبد الله الذي
اعتاره من عام ١٢٤٠ هـ حيث قال سبع سن سقمت واعتلت بيها ابن بشر يرى أن
حروجه في عرفة . وعمارته لأهل ثم استبلاءه على صرماء كان في عام ١٢٣٩ هـ .
أي بعد ست سنوات ^{١٠}

وتركي بعد أن ست لأمره في حد نفى شيخ أحمد بن علي بن دعيح على قصه بلده
مرت حتى توفي لإمام تركي مقتولاً عام ١٢٤٩ هـ

ثم أنقاه به لإمام فيصل بن تركي بن توفي وهو في قصه بلده عام ١٢٦٨ هـ . وعلى
هذا يكون قد بني في لأحداث السريعة المليئة بما يروي إليه . وقد حاشا في
الندوين ٢٨٠ عام راحر سبع عنها أو شاساها وب ترك آخره باعتباره قال
القصيدة قبل تقدم سن به في كان ترك هذه لمدة طويلة

٥ - أميل إلى أن هذه الأرجوزة قبلت في فترات متقطعة ، بمعنى أن القائل لم ينهها في جلسة واحدة .. ولذا فإن هناك أحداث قريبة منه ما كانت لتند عنه :

- مثل إقامة خورشيد باشا في ثرمدا .. والضرائب التي كان يفرضها على أهالي الوشم خاصة وقرى ومدن نجد عامة .

- المظالم التي كانوا يقومون بها وإهانتهم بل قتلهم العلماء والناس .

- دعوة حسين بك لأهل الدرعية : من أراد بلدًا يترها فليأتنا نكتب له كتابا يرحل إليها .. فلما حضروا عنده وعددهم نحو (٢٣٠) رجلاً بنائهم وأطفالهم قتلهم جميعاً بسابك الخيل في ثرمدا (١١) .

مثل هذه الأشياء التي تحرك المشاعر لا أتوقع أن الشيخ ابن دعيح سيقفلها من أرجوزته هذه التي وصفا في مقدمته بأنها ذات عبرة وعظة : ففعل من يأتي بعدنا في آخر الزمان بصيبه بلاء ، فيظن أنه أول مبتلي ..

أما قوله في المقدمة : وتركنا ذكر سواها من الوقائع بنجد .. فهذا يرد عليه ما جاء بعد البيت ٨٧ حيث استمر في سرد الحالة في نجد وحسن وحسين وهم من القواد الأتراك الذين مر ذكرهم عند ابن بشر ..

وذكر خروج الإمام تركي ، وعن السبع سنين التي ماجت فيها نجد والمحت فيها العرى وهي الفترة الزمنية بين تركي واستقراره ... وبين هدم الدرعية عام ١٢٣٣ هـ . كل ذلك يقوي العزم بأن للأرجوزة بقايا تأمل أن تراها لتسير مع أحداثها مع رجل عاصر تلك الأحداث وعاشها ساعة بساعة .

أما استطراده فهذا بالدعاء من تأثير العقيدة الدينية ، وانعكاس للخلفية العلمية ، والنظرة الاجتماعية ..

وهذه سمعة يلسها كل من يقرأ نظماً لعلماء نجد إلى عهد قريب ، ذلك أن القضاء يضي على أصحابه مهابة ووقاراً ..

والاستطراد عنده ليس علامة النهاية فقد استطرِد في هذه القصيدة أكثر من مرة ثم يرجع لموضوعه ..

ولعل مما يؤيد حدس ما ذهبنا إليه أن الأبيات التي أورد الشيخ محمد بن عثمان القاضي مع قلنا .. فهي أصح وزنًا ولغة من الأبيات نفسها كما جاءت هنا ..

وسأورد تلك الثانية التي جاءت ضمن ترجمة حياة الشيخ أحمد بن دعبج ، رغم أنها غير منتظمة في التسلسل مع الأصل الذي أوردناه ..

وهدفنا هنا حتّ القارئ للمشاركة فيما لديه من هذه الأرجوزة ليكتمل عقدها .. أورد محمد القاضي هذه الأبيات منها :

فاسمع وخذ تاريخ قرن ثالث	من بعد ألف نكبة الحوادث
نسلو ثلاث مع ثلاثين مضت	أت على نجد بنارٍ أوقدت
وقبله كأنها عروس	والخير في أركانها عيس
أميرها السيدع الغامي	بنفسه عن خدمة الإسلام
كم قبلها أباد ربي من أمم	من بعد نوح مثل عاد وإرم
مصر دنيانا إلى اغحاق	ثم البقا للواحد الخلاق
فبالها من بيضة تفلقت	حدثني بعد التلاف قطعت
وطالما كانت محل أنس	ورحب ساحاتهم نسي ^(١)



(١) راجع ترجمته في الجزء الأول من ص ١٧٧ - ص ١٧٩ .

(٢) انظر المرجع السابق : ١٧٧ - ١٧٩ .

(٣) انظر المرجع السابق ٣ : ٧٦٧ .

(٤) انظر المرجع السابق ٢ : ٤٨٠ .

(٥) انظر هذا الكتاب ج ١ ص ٦٧ .

(٦) انظر علماء نجد ١ : ١٧٩ .

(٧) انظر الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب ص ١٠٣ .

(٨) سورة هود آية ١٢٠ .

(٩) هذان البيتان زيادة عن النص رواية عن الشيخ عبد الله بن جازر .

(١٠) رواية الشيخ ابن جازر « غاية دلها » .

(١١) لعل الأقرب إلى الوزن :

لعل من يلحق بصبيبه البلاء يظن أن السفر أول مبعلاه .

(١٢) لعل الأقرب إلى الوزن فيذكر الخواص منه والقواعد

(١٣) سلمن خطأ في النقل وإنما جاءت مفرقة من أجل القافية .

(١٤) هذا البيت زيادة عن النص في رواية الشيخ عبد الله بن جازر ، وموقعه عند ابن بسام بعد ثلاثة أبيات .

(١٥) في رواية البسام التي أضيفها في ترجمة حياة الشيخ ابن دحيج قال : « أتت على نجد بنار حمراء ج ١ ، ص ١ : ١٧٨ .

(١٦) في رواية البسام أيضا في ترجمة ابن دحيج قال : « كأنها عروس » ، والخير في أركانها بيس » ١ : ١٧٨ .

(١٧) رواية ابن بسام في ترجمة ابن دحيج قال : « يفتنه عن خدمة الإسلام » نفس المصدر .

(١٨) رواية ابن بسام في ترجمة ابن دحيج قال : « وقلعه يزكو تميز لفتاء » نفس المصدر .

(١٩) رواية ابن بسام في ترجمة ابن دحيج قال : « يهوى بالقرآن » نفس المصدر .

(٢٠) رواية الشيخ ابن جازر « وأنحكم الزيات والشود » .

(٢١) هذا البيت والذي قبله من رواية الشيخ ابن جازر وفي هذا الموضع وفي النص بعد ثلاثة أبيات مع تقديم الثاني على الأول

ورواية الأول « سارت به الأتني الضميلة وحدها » .

(٢٢) رواية الشيخ ابن حجاز وهم بأهل الرس بن الناس أميرهم وشبههم قرناس .

(٢٣) رواية الشيخ ابن حجاز :

نهارهم يشبهه هب المصاصد والليل بالوصف كمرعه فاصف
(٢٤) هذا البيت زيادة عن النص في رواية الشيخ ابن حجاز .

(٢٥) ، (٢٦) هذان البيتان زيادة عن النص في رواية الشيخ ابن حجاز .

(٢٧) رواية الشيخ ابن حجاز :

ونسيت الأثر والشيءك وأبستوا بالمعطب والفلاك

(٢٨) رواية الشيخ ابن حجاز : لكن نهن دونها الأرقام ، والشيخ ابن بسام في ١ : ١٧٨ لكن نقيض دونها الأرقام .

(٢٩) رواية الشيخ ابن حجاز : أبو سعد أسوها والأخير ، والشيخ ابن بسام في ١ : ١٧٨ : حاصرها بالدم .

(٣٠) رواية الشيخ ابن حجاز :

منهم أناس على الباشا ناهلوا وتصرون بالكتاب عافلوا

(٣١) في رواية ابن بسام : ١ : ١٧٨ : والنصف من أهل الطريق ناهلوا .

(٣٢) رواية الشيخ ابن حجاز :

وعلموا بفسره وحيدا نفس الإله ليس فونه محيدا

رواية الشيخ ابن بسام : ١ : ١٧٨ :

ونفس الإله ليس عنه محيدا

(٣٣) رواية الشيخ ابن حجاز :

وأعرجوه من منبج فاره

(٣٤) رواية الشيخ ابن بسام : ١ : ١٧٨ .

وقا يقيتنا عن آل سعود ومن كل محبوب لنا مفقود

(٣٥) رواية الشيخ ابن بسام : ١ : ١٧٩ :

تبيقوا النجمة عليم عائدة

(٣٦) هذا البيت وما بعده يحكي من جاء بعد إبراهيم باشا وما حل في نجد من القوضى .. ويبدو أن به وما قبله التقاطع قد يكون جزءا من الأرجوزة لم يصل إلينا . وحسن وحسن من قادمهم .

(٣٧) الأعراب اسم سيف الإمام تركي بن عبد الله .

(٣٨) بلاطه القارئ انتلاف القافية هنا مما يدل على سقوط الشطر الثاني .. وإن هذا الشطر هو أول البيت الذي يليه .

(٣٩) استبعد هذا من مخالفته صراحة التوحيد ولأنه من ألف في العبيدة منظومة أشرا إليها .

(٤٠) راجع عنوان المجد لأين بشر ج ٢ ص ٢٥٢ ، وفي ص ٢٥١ قال إنه تخرج من الحلقة عام ١٢٣٨ هـ .

(٤١) راجع عن هذه الحكاية عنوان المجد لأين بشر أحداث عام ١٢٣٦ هـ ج ١ ص ٢٢٣ .

(٤٢) انظر روضة الناظرين : ١ : ٦٧ .

